

مقامات الموسيقى العربية

تعتبر الموسيقى التونسية جزءاً لا يتجزأ من الموسيقى العربية ومن موسيقى الحضارة الإسلامية بصفة أعم بحيث نجد من أسماء مقاماتها العربي والتركي والفارسي وغيرها كما نجد من أغانيها التقليدية كلمات يترنم بها عندما تكون الجملة الموسيقية أوسع دائرة من الجملة الشعرية سواء بالعربية أو بلغات الأهم التي نالها شرف الانتساب للأسلام مثل مقام "الاصبهان" (اسم مدينة فارسية) أو سياه "واصله ساكاه" الصوت الثالث بنفس اللغة ومايه بمعنى "الخميرة" وكذلك ترنمات درست حبيبي (وجنم (روحي) وأمان للاستعطاف وجميع هذه الكلمات متداولة عند العازفين والمغنين الى اليوم .

وقد تفرعت الموسيقى العربية الى أربع مدارس كبرى مدرسة الصوت أو الجزيرة العربية ولها صلات وثيقة بالموسيقى الهندية والزنجية والمدرسة العباسية البغدادية أو مدرسة المقام ولها أبعاد في بلاد فارس وجمهوريات آسيا الوسطى ثم مدرسة الشرق الأدنى وتجمع بين مصر والشام وفلسطين ولها صلة متينة بالموسيقى التركية وأخيراً مدرسة الاندلس والمغرب العربي ولها صلات بالموسيقى الأوروبية والموسيقى الزنجية الإفريقية والبربرية .

وقد ضمن المقامات التونسية أبو عبد الله الظريف التونسي دفين جبل المنار من ضواحي العاصمة التونسية المتوفي في 11 جمادى الثانية سنة 787هـ (1385م) في قصيدة تشتمل على (56) بيتاً طالعها :

من سفك دمعي ومن تحبير أجفاني	صغت الهوى حلية من حر نيران
ومن نحولي ومن سقمي وشدة ما	ألقاه من فرط أشواقي وأشجاني
ومنها ما ذكر في أسماء (الطبوع) الفنية وهي المعروفة بالمقامات	
جس (الرهاوى) وجر (الذيل) من طرب وتاه في (الرمل) أحياناً فأحيانى	
و(اصبهان) إذا يحكي (بصيكته)	(محير) الحال (مزموما) بهجران
فهاجني ما بكى أهل العراق على	فقد (الحسين) ففاضت منه أجفاني
يشكو (النوى) ودموع العين تسبقه	حتى رثيت له شوقاً فأبكاني
و(الرصد) اشعل في قلب العليل جوى	و(ماية) أحرقت قلبي وأكثاني
و(الاصبعين) غدا يحكي بصولته	حتى أذاب فؤاد المدنف العاني
فقلت ما بك صف لي ما ابتليت به	ما بال جسمك مكلوم الحشا فان
هيجت لي لوعة في القلب ساكنة	خفض قليلاً فقد هيجت أحزاني الخ ..

والعوارض العربية المضافة في مؤتمر القاهرة المذكورة هي للخفض بربع البعد وللرفع بربع البعد وبعد اطلاعي على مجموعة العوارض العربية والتركية والفارسية أجريت بحثا علميا لمختلف المقامات العربية أثناء صائفة 1966 بالمركز الموسيقي الامريكي "بانترولوكن" بولاية "مشقن" اعتمدت فيه على الجهاز الالكتروني لهذه المركز وهو من نوع "استروبيكون" كت 3 لما اشتمل عليه من دقة تمكن من التعرف على ضبط الصوت مع القياس بنسبة تقسيم البعد الواحد الى مائة جزء كما يمكن من تحقيق ضبط ذلكم المقياس بطريقة مرئية لا تدع مجالا للشك ذلك ان الجهاز اذا اُسمع صوتا معينا يبين دائرة مضيئة كما ان المقاييس يبين دائرة أخرى وعند عملية الضبط يكون ذلك باندماج الدائرتين بحيث تصبحان دائرة واحدة .

وقد أسفرت نتيجة البحث الذي أجرته عن رفع أو انزال بعض الدرجات بنسبة تتراوح بين 20% و30% و40% من البعد الكامل وضعت لذلك العلامات الآتية لتلكم النسب .

وقد عرضت نتيجة هذا البحث على الندوة العلمية التي نظمها مركز "غوت" الألماني بمدينة بيروت سنة 1968 وشارك فيها العلامة الاستاذ ماريوس شنيدر " أستاذ العلوم الموسيقية بجامعة "كولونيا" الألمانية ومن تركيا الأستاذ عدنان سيقون المؤلف الشهير وأستاذ التأليف الموسيقي بمعهد أنقره والأستاذ " روشنكام" عميد الموسيقيين التقليديين الاتراك ومن البلاد الفارسية البحث الأستاذ خاتشي أما من الجانب العربي فقد حضر معي عميد الموسيقيين التقليديين بلبنان المرحوم الأستاذ "سليم الحلو" ووافق الجميع على البحث وعلى العلامات الآتي بيانها .

للخفض	لرفع
نسبة 20%	نسبة 20%
نسبة 30%	نسبة 30%
نسبة 40%	نسبة 40%

وقد أثبت البحث والاستقراء أن المقامات التونسية اربعة أنواع نوع افريقي بحت وهو وهوذ والسلم الخماسي المستعمل حتى الآن في أغلب البلدان الأفريقية ويسمى في تونس "رصد عبيدى" ويعرف بالمغرب " برصد كناو" اما نسبة الى مدينة "كانو" بنيجيريا أو نسبة الى الكلمة البربرية " اكنو" كما يقول العلامة صديقنا الأستاذ محمد الفاسي ومعناها موسيقى الأقوام التي تفهم لغتهم وقد دونا منها في المعهد الرشيدى نوبة كاملة من المألوف وهذا ما يؤكد عناية العرب بموسيقى الزنوج قبل غيرهم وفيما يلي سلمها :

النوع الثاني : المقامات التي تتصل بالموسيقى الغربية ونجد منها مقامات

1- المزموم وقد ذكره الأمير الصنهاجي تميم بن المعز بن باديس حاكم افريقي (تونس) ما بين سنتي 454 و 501 هـ في احدى قصائده حيث يقول :

الطيب يخفق والمزامير حوله تتأخلف العيدان في المزموم

وهذا المقام تمكن مقارنته "بالماجور" (الكبير) الغربي عند تركيزه على درجة الجهاركاه (Fa) كما يعتبر من أشبه المقامات بمقام الجهاركاه الغربي الشرقي والتركي . وفي المغرب يسمى "حمدان" وهو مقام ينتشأ من الفنانين وقد جرت العادة بأن لا يعزفه طبل الباشا أو موسيقى الحرس الملكي الا يوم وفاة الملك (الباي) وهو يكتسي طابعا خماسيا بكثرة تحاشي درجتي (سي ومي) من سلمه حسب السلم الموالي وهي يشتمل على نوبة كاملة من المالوف

2- المقام الثاني : من هذا النوع هو المحير سيكاه " الذي يقارن بالمقام الصغير الغربي (مينور) اذا مركز على درة الدوكاه (Ré) ويقابله "الوسلك " في تركيا والساحلي في الجزائر والعشاق بمصر (مع شيء من التغيير) وهو نفسه "النهاوند" والفرح فزاف في المشرق وتركيا والصبهان بفارس اذا مركز على درجات أخرى .وفي تونس يعتبر من المقامات الشعبية اذا لم نعثر فيه من القطع التقليدية (المالوف) الا على دخول براول (يا من بسمهم الأشفار * مزق صميم فؤداي) وعلى هذا المقام تغني النسوة قطعة "نني نني * جاك النوم" لترفيد أطفالهن وعليه أيضا ألحان مجموعة من الأغاني الشعبية العاطيفة والصوفية وقد لحن عليه لهجة النهاوند الشيخ خميس الترنان نوبة كاملة (نوبة الخضراء وفيما يلي سلمه :

النوع الثالث : هو الذي يعتمد التثام الأجناس أو العقود مع بعضها لتكوين سلم المقام وفي ذلك ارتباط بموسيقى الشرق العربي والموسيقى التركية والفارسية والبنظية والأجناس تكون اما ثلاثية (أي ذات ثلاث درجات متتابعات أو رباعية أو خماسية كما سنبينة والعقود هي

- 1- العجم ثلاثي وهو مشترك مع العديد من الأقطار العربية .
- 2- السيكاه ثلاثي وهو مشترك مع جميعها
- 3- الحسين رباعي ومقارن بالبياتي الشوقي
- 4- الاصباغين رباعي ومقارن بالحجاز
- 5- المحير سيكاه رباعي ومقارن بالنهاوند مع تغيير مقر ارتكازه كما أسلفنا
- 6- الماية او محير عراق رباعي ومقارن بالراست الشوقي
- 7- المزموم خماسي ومقارن بالماجور (الكبير الغربي) والجهاركاه الشرقي كما أسلفنا
- 8- راست الذيل خماسي (الغربي) وهو خاص بمدرسة الأندلس والمغرب العربي
- 9- الذيل خماسي
- 10 - وكذلك العراق (ويعرف في المغرب بالاصبهان) وهما خلصان بالمدرسة المذكورة
سلالم عقود المقامات التونسية

وهذه المقامات هي :

1- مقام الماية يرتكز على درجة الراسـت (DO) ويتميز بكثرة التوقف على درجة السيكاه (MI) وابرز عقد المزموم على درجة الجهاركاه (FA) ومن خاصياته أنه يؤدي في الصباح وعليه نوبة كاملة من موشحاتها :

السحاب في السحر والليل ولى بطولو
الصباح خالط على الأثر طلـت علينا خيولو

وهذا سلمه :

2- مقام راسـت الذيل وهو نوعان يتفق الاول مع سلم الماية دون التقيد بميزاته وأما الثاني فترفع درجته الرابعة وتخفـض درجته الثالثة بنسبة 40% كما بينا في العقد وكثيرا ما يختلط النوعان في القطعة الواحدة وهذا سلمه :

3- مقام الحسين وهو يقارن كما أسلفنا بالبياتي وأما لـاذا جعلنا عقده الثاني حسين على درجة الحسين يصبح المعروف "بحسين أصل" ويقارن حينئذ بالحسين الشوقي كما انا اذا جعلنا عقد الثاني محير سيكاه على النوى (Sol)

عرف " بحسين عجم " ويقارن حينئذ بالعشاق التركي واذا ما أكثر فيه من ابرز عقد العجم أصبح مقام "العجم" الذي نشترك فيه مع المشرق العربي وهذا سلمه :

4- مقام رمل الماية - يشترك في سلمه مع الحسين ويتميز بكثرة التوقف على درجة الكردان (Do جواب) وبالنزول بالسلم بعقد مزموم وبكثرة التوقف على درجة الحسيني عند القفلة وبكثرة استعمال عقد الحسين في الجواب (أي الصوت الرقيق) وفي الخاصية الأخية يقارن بمقام المحيي الشرق الذي أعطى في ايران اسم احد الأولياء "بابا طاهر" لكثرة استعماله في ألحان طريقته الصوفية ومن خصائص رمل الماية أدائه في العشية عليه نوبة كاملة من موشحاتها :

أصفرت شمس العشية وأشرقت بين الممشي قريبا كاس الی وأعطفو عطف الحواشي
وهذا سلمه

5- الاصبعين : ويقرف في المشرق بالحاجز وفي المغرب بالحاجز الكبير وفي الجزائر بالزیدان
عليه نوبة كاملة هذا سلمه :

6- الرمل - ينطق عليه سلم الاصبعين وتميز بكثرة التوقف على الدرجة الثانية والرابعة
ويتحاشي هذه الأخيرة عند القفلة ويجس درجة العراق (Bai)

عند القفلة في أغلب الأحيان ويعتقد الفنانون القدامى أن عزف هذا المقام يهيج البحر وفيما يالي
سلمه :

7 - محير العراق - ويمكن تركيزه على احدى درجتی النوى (Sol) أو الدوكاه (Ré) وفي الحالة
الأخيرة يقارن بالمقام التركي (نیشابر) ومن خاصياته جعل عقده الثاني حسين على الدرجة
الخامسة من سلمه دون الصعود الى الجواب (أي درجة الثانية من السلم) وهي ميزة ينفرد بها .
وهو مقام شعبي على أغاني الأفراح وقد لحنا عليه نوبة جديدة غزرت تراثنا الفني سنة 1978
أدتها فرقة المعهد الرشید وهذا سلمه :

8- العجم عشيران وهو يقارن بالماجور (الكبير) الغربي اذا ما ركز على درجة العجم عشيران (قرار) هذا المقام كان يستعمل في الارتجال في العزف والغناء وقد لحن عليه نوبة كاملة سنة 1958 وهذا سلمه :

9- السيكاه يرتكز كما أسلفنا على درجته (Mi) ويتميز في تونس بالتنوع عقده الثاني الذي يرتكز على النوى (Sol) فاما أن يكون عقد محير عراق وحينئذ فهو الأصلية المستعملة بالخصوص في تركيا أو يكون جواز وعندئذ يقارن بالسيكاه هزم في المشرق أو يكون "دحير سيكاه" فيقارن بالمساة الشرقية أو يكون "حسين" وهكذا يقارن بمقام العراق مركزا على درجة السيكاه وقد استعمل جميع هذه الأنواع الملحن المصري الاستاذ زكريا أحمد في احدى أغانيه "الورد جميل" وفيما يلي سلمه :

النوع الرابع : هو الذي اشترك فيه النوع الخماسي البربري الزنجي مع نوع تسلسل العقود وهذا النوع الجديد خاص بموسيقى مدرسة الاندلس والمغرب العربي من أشهر مقاماتها مقام الذيل الذي يرتكز على درجة الراست (Do) ولد المثل العامي "اذا طوال عليك الليل تناول نوبة الذيل" وقد أنتج اختلاط النوعين فيه -أ- كثرة التوقف على درجة سلمه الثانية (Ré) وتحاشي عزف درجتي سلمه الرابعة (Fa) والسابعة (Si) وخفض درجته الثالثة 20% فقط. ومن خاصياته النزول بسلمه تحت المرالى درجة السيكاه (Sol قرار) وفي ذلك يقارن بمقام الهوى الفارسي التركي وهذا سلمه :

2- ومن مقامات هذا النوع مقام العراق يرتكز على درجة الدوكاه (Ré) ويسميه البارون ديLANجي في الجزء الخامس من كتاب الموسيقى العربية "عراق سلطان وهو معروف في المغرب بالأصبهان وقول عنه صديقنا المرحوم الحاج ادريس بن جلون رئيس جمعية الموسيقى الأندلسية أنه يتغنى عليه المتسولون في المغرب عليه نوبة كاملة وقد أنتج اختلاط النوعين فيه تحاشي عزف درجته الثانية والثالثة عند القفلة مع اشتراكه مع الذيل في النزول بسلمه تحت المقر الى درجة السيكاه (Sol قرار) وهذا سلمه

3- مقام النوى يرتكز على درجة الدوكاه مع جعل عقد الأول محير سيكاه وعقده الثاني حسين على حسين (La) ويظهر فيه اختلاط النوعين بكثرة تحاشي درجتي سلمه الثانية (Mi) والسادسة (Si) في العزف والغناء. وهو شام يتشاهم منه الفنانون بحيث لم يتجرأ أحد منهم على أداء نوبة كاملة وهذا سلمه :

4 - مقام الصبهان وهو يقارن "بالعشاق" المغربي ونسبياً "بالسيكاه التركي يرتكز على درجة السيكاه (Sol قرار) ويظهر فيه اختلاط النوعين بكثرة تحاشي عزف الدرجة السابعة من سلمه

ويتميز بتنوع عقده الثاني بين محير عراق ومحير سيكاه وأصبعين على درجة الدوكاه (Ré) وعليه نوبة كاملة تبرز الرجولة والنخوة والاعتزاز وهذا سلمه :

هذا ويمكن أن نضيف للمقامات التونسية التقليدية :

5- مقام " الزنكولاه " الشرقي اذ أني قمت بتونسية أدائه فجعلت عقده الأول "اصبعين عرض " الحجازكار " وعقده الثاني "مزموم" عرض الجهاركاه مع عقد الصبا على الحسيني (La) ولحنت عليه نوبة كاملة في السبعينات ، والمعروف أن نوباتها المألوف التقليدية ثلاث عشرة نوبة يضاف لها نوبة الخضراء في مقام النهوند للشيخ الترنان والثلاث نوبات التي لحنتها في مقام العجم عشيران والزنكولاه ومحير العراق فأصبح مجموع النوبات سبع عشرة نوبة عسى أن يزيد عليها شبينا ما ثرى تراثنا الموسيقي .

هذا مجموع المقامات التونسية التقليدية التي نرجو أن يواصل شبابنا الانتاج عليها وتطويرها في ذلك مع تطعيمها بالمقامات العربية الأخرى وكذلك بالتي تنتمي للبلدان ذات الحضارة الاسلامية.

والله الموفق